نـافـذة

قهر الصمت

حقوق الآخرين وحقوق الأولين، بينهما نجد أنفسنا نبحث عن حقوقنا في الحياة الناتجة دائماً وأبداً عن خياراتنا التي قد تنعكس سلباً أو إيجاباً عند إثباتنا بأنّ قوانا الذاتية قادرة على تحمل نتائج منتجنا المادي أو اللامادي؛ أي ما نحمله في فكرنا وعلاقته بما نريد أن نصل إليه، وهنا لا أنحو إلى فلسفة الصمت، إنما للإضاءة على فلسفة قهره من ذاته، والغاية تحليقه بجناحي العلم والمعرفة ونتاجهما التكلم عن الحقوق بالحياة التي إن أدركناها أنهينا الكثير من الأنانيات والعداوات والحروب، وذهبنا إلى بناء المسكونة منا التي تمنحنا قوة التخطي لحدود الزمان المكان.

طبعاً لا أقصد هنا إلا الأجيال الفاعلة وعلاقتنا بها، وكيف بها تطرح الأسئلة علينا، علّها تجد ضالتها، لتأخذ بعدها نواصي تحديد مساراتها، تريد الحرية من ماذا، وفهم الرابطة بين الدين والله والتعلق بالوطن والبناء فيه والانتماء إليه ونظم التفكير وهموم بناء الأسرة وتكوين المجتمعات والصداقات فيها والحدود الظاهرة والخفية بين الأنا العبثية المطلقة والأنانية المقننة والعقل الجمعي المراقب لحركة النمو وحقوقه وحقوق الآخرين؟

هل مسألة انتمائنا للجنس الإنساني تحمِّل كواهلنا أعباء إدارة الأرض؟ وهل عدم فهمنا لمنظومة الخلق والخالق بشكلٍ علمي نقارب معه الدقة، يؤدي بنا إلى عدم فهم حريتنا؟ ومن ثم التعدي بمفهومها على حقوق الآخرين، ما ينشئ أزمات أخلاقية كبرى، تظهر العنف، وتزيد في التطرف، تنمي الخوف من الآخر، تقتل الحب والمبادرة بعد أن تجعل من الصمت أسلوب حياة، ومن الوظيفة الرتيبة منهج تأخير للحركة وإصرار على البقاء في السكون.

هل الصمت عند تحقيق الفوز يمنح الثقة، وحضوره لحظة الغضب قوة، وعند القيام بعملية إبداعية إبداع، ومع استقبال النصيحة أدب، وحين تجلي الحزن شكوى خفية للكلي الذي لا يعني الكل، لأنه عندما يتكلم يجترح العجائب، إنه الوحيد، وأقصد الكلي، يفعل، لا يتكلم أبداً، وإرادته أن نتكلم لا أن نصمت، الحرية سبب رئيس لكل ما يجري على كوكبنا، ومعضلتها تكمن في عدم التكلم بأنّ لا حرية في الحياة، وأنها وهم الأوهام.

كيف بنا نجيب الأجيال عندما يسألوننا عن ماهية غدنا، وما الغاية من وجودنا فيه؟ هل نستطيع أن نجيبهم أنّ غدكم مثل أمسكم، مثل يومكم، أم إن هناك تطورنا؟ ينبغي أن تكونوا مستعدين له، وإلا فستسقطون.

من يرسم المسارات للغد وبعد الغد؟ القادة السياسيون، العسكرة، القائمون على الشؤون الدينية، المفكرون، المثقفون، العلماء المنتجون...؟ ومن القادر على الإيفاء بالوعود؟ هل يجتمع العمل والأمل من أجل كسر المستحيل؟ وهل يمتلك الصبر القدرة على الانتظار المديد؟ لا نريد أن نراوغ أجيالنا، ولنضع وجودنا تحت عدسة الاختبار، ولنبتعد عن سيناريوهات التخدير والتسكين، ولنفسح في واقعنا للفرص حضوراً حقيقياً لا وهمياً، لنعترف أن أمام الأجيال خيارات صعبة مع تنوع الأزمات واشتداد حدة المواجهة وظهور صعوبة التكهن بالمستقبل.

الأجيال القديمة ترفض التطور، الأجيال القادمة تحمل شعارات الرفض والغضب والتمرد على الواقع وممارساته، تبحث عن حلول جذرية لمشكلات التقوقع والكبت الديني التاريخي والإداري في آن، تريد الخلاص من الوصاية الأسروية والوصاية على وطنها، إنهم يقدمون لنا رسائل قوية ومباشرة، مضمونها إجراء تحولات مقنعة في الفكر السياسي وجذرية في البنى الاقتصادية، تسمح لهم بالوصول إلى الفرص وإبداعهم فيها، وحلول ناجعة للواقع الاجتماعي الذي يسيطر عليه الفكر الماضوي والتبعي الذي أدى بكثير منهم للتطرف، وانكشف لهم أنّ ما أُلقي عليهم من شعارات لم تكن إلا واهية، وأنها ثورة اللا ثورة، وما هي إلا إجحاف بحقهم، أودى بهم إلى الهاوية، فما سمي «الربيع العربي» حمل هدفاً واحداً، تجلى في خطف أحلام الأجيال بالحياة والبناء وإعادتهم إلى الوراء، لقد صور لهم أن تغيير الأشخاص والحكومات والمسميات يحقق لهم ما يريدون، وهاهم اليوم يجردون الخسائر الهائلة التي أنجزت بفعل تلك الثورة التي انهارت بانهيار أفكارها المستوردة، وأدرك الجميع أن فرقتهم وغربتهم ضمن أوطانهم تؤديان إلى تآكلهم من الداخل وقضمهم من الخارج، وتساوى بذلك السائل والمسؤول، الحاكم والمحكوم، الممنوع والمسموح، الأمي والعارف، فضاعت الحقوق بين الماضي والحاضر، وبدا المستقبل مبهماً بحكم ضياع القضية الجامعة والرؤية الموحدة.

دعونا نعترف اعترافاً فردياً وجماعياً لا يستثني أحداً من أجل التطهر مما اقترفناه، الكل انتهك الحقوق، العارف والجاهل، دعونا نتحدث ونقهر الصمت، وألا نختبئ خلفه، فمعجزة التكلم القدرة على الاعتراف الذي يخرجنا من مآزق الأزمة؛ بل الأزمات، ويعطي لكل ذي حق حقه.

إن كسر حاجز الصمت بالكلام يؤدي إلى تقاسم الهموم والأعباء، ويمنح الراحة والتلطف والصفاء، فالرحمة الإنسانية المسكونة في جوهر كل إنسان تغفر الأخطاء، وتجد لها ألف تبرير وألف عذر من أجل العودة لبعضنا، فهذه مسؤولية الإعلام الذي يقع عليه واجب إيصال مصداقية الرسائل، فالأجيال تريد أن تكون متكاملةً عبر مسيرها وشريكةً في البناء والإنجاز، لا اتباع ولا دون هذا عن ذاك، وأي شخص ينتهي بانتهاء الإنسان، أما المسيرة التاريخية فهي وجدت كي لا تنتهي، وبدلاً من أن نكون جيدين في معاملاتنا، تجدنا في هذا الزمن نبحث عن الشخص الجيد.

إن خرق التقاليد وزعزعة المألوف والإلمام بمحاكاة الصمت، يؤدي إلى قهره أولاً، ومن ثم التحليق عالياً، وهذا لا يتم إلا بالتفوق على الصعاب، بعد أن ينهي المرء كل أشكال التزمت، ويكسر الحواجز التي تحجبه عن الآخر، فالمعاناة الإنسانية تؤمن بالنجاح، ترفض الانهزام، وإن السعي لاستثمار الطاقات المبدعة هو أرقى أنواع التواصل شريطة الإيمان بنظرات مشرقة تجاه المستقبل الذي يعني في حقيقة أمره أنه الآخر، فالزمن الثابت يحاكي المتحرك عليه، نحن وجميع الأحياء مع الجوامد منها، ودقته تشير إلى اختيار الآخر واختباره الذي يكون بالكلام معه، من باب العلامات الإنسانية التي تمايز حضوره، هذا يدعونا للحديث عن زمن القهر الذي يجبرنا للبحث عن الحلول المبتكرة والنسج ببراعة الفكر، وحماية الوجود الإنساني وتحصينه بشكل دائم خوفاً من هزيمته أمام الفضاء ومساحته الهائلة المسكون فيها الصمت والكلام، الحب والموت، الحرب والكراهية الرمادية وظهورها من بين كل هذا التناقض.

صراع متواصل لا يهدأ، والأسباب الأديان والحرية والأيديولوجيات الناشئة ناهيك عن حجم تطور التكنولوجيا، يبدو أن فكرنا هرم، فلم نعد ندرك مثاليات الأولين المتجلية بالجار قبل الدار، ولا الصديق عند الضيق، ولا الأقربون أولى بالمعروف.

قهر الصمت يدعونا بقوة للكلام عن أنّ السياسة والأديان ما وجدا إلا من أجل صناعة الفرقة والحروب وإعلاء الشأن المادي، فبدلاً من تبادل الحياة إنسانياً وثقافياً ومعرفياً نجدهم حولوا العلاقة إلى متاجرة مع الله معتبرين إياها فقط الرابحة، وأنّ حقهم وحقوقهم عنده ومعه متناسين حقوق الآخرين عليهم، وأنه من دون الآخرين والصدق والأمانة معهم لا نجاح ولا حياة.

قهر الصمت بالكلام حاجة إنسانية ومطلب جوهري يحياه الإنسان مع إلهه بغاية الوصول إلى قضاء حاجاته، فكيف به لا يفعل ذلك مع أخيه الإنسان من أجل إثبات وجوده واستمراره.

د. نبيل طعمة

اختتام مهرجان وهران بدورته العاشرة

أيمن زيدان أفضل ممثل عربي.. واحتفاء خاص بالمخرج باسل الخطيب

باسل الخطيب

بوستر الفيلم

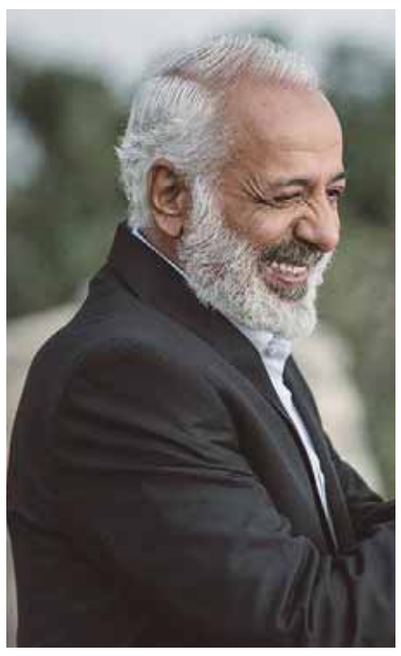

أيمن زيدان

وائل العدس

اختتمت فعاليات مهرجان وهران الدولي للفيلم العربي بدورته العاشرة في الجزائر، التي استمرت من العاشر وحتى وقت متأخر من ليل أول من أمس، وهو واحد من المهرجانات القليلة الذي يملك هويته الخاصة في احتفائه بالسينما العربية فقط.

وقال مدير المهرجان إبراهيم صديقي في كلمة الختام: «أيها الحضور الكريم.. ما كان أبهاكم وأنتم في قاعات السينما وفي الندوات والورشات وفي المقاهي الوهرانية أيضاً تتابعون وتناقشون وتتنافسون في محبة خالصة ووفاق مطلق».

وأضاف: «شكراً على كل لحظة فرح أنتم صنعتموها وعذراً عن كل لحظة قلق نحن صنعناها».

زيدان الأفضل

لم يكن غريباً أن يتوج النجم السوري الكبير أيمن زيدان بجائزة أفضل ممثل عربي في هذا المهرجان، وخاصة أنه قدم عبر مسيرته الفنية الطويلة أجمل الأعمال وأخلدها.

وبكل تأكيد فإن تجربته الإنسانية والإبداعية الفريدة مصدر فخر لكل سوري وعربي.

«أبو حازم» حاز جائزته السينمائية الأولى عبر فيلم «الأب» الذي أنتجته المؤسسة العامة للسينما، وكتبه وضاح وباسل الخطيب، وأخرجه باسل الخطيب.

تجري أحداث الفيلم عام ٢٠١٥ حيث يحاصر تنظيم «داعش» الإرهابي إحدى البلدات السورية، يحاول أهلها النجاة بحياتهم، ونشهد في الفيلم صراع أب يحاول إخراج عائلته من البلدة وإنقاذها من الموت.

هي قصة سوريّة تتناول صراع الإنسان للبقاء على قيد الحياة، عبر قصة «أب» (أيمن زيدان) يسعى لإنقاذ عائلته المحاصرة في بلدة سوريّة من الاعتداءات الإرهابية الوحشية، رغم عدم قدرته على حماية عائلته الصغيرة كاملة، لكنه استطاع النجاة بعائلته الكبيرة «البلدة، المجتمع، الأطفال الأيتام» من خلال فعل نبيل يقوم به في النهاية.

الفيلم من بطولة أيضاً كل من: علاء قاسم، ويحيى بيازي، وعامر علي، وحلا رجب، وروبين عيسى ورنا كرم، وجمال شقير، وجابر جوخدار، وعلي إبراهيم، وأسيمة أحمد، وخلود عيسى، وجانيار حسن، وسعيد عبد السلام، ووفاء العبد الله، ودينا خانكان، ووائل أبو غزالة، ونادين الشعار، وسومر إبراهيم، وفاتح سلمان، ووائل شريفي، ونور رافع، ورشا رستم، وغادة قاروط، ويامن حيدر، وسلمى سليمان، ومحمد زرزور، بالاشتراك مع أحمد رافع، ورامز عطاالله، والفنانة القديرة وفاء موصللي.

وللعلم فإن النجمة القديرة صباح الجزائري فازت قبل ثلاث سنوات في المهرجان نفسه بجائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم «الأم» لباسل الخطيب أيضاً.

احتفاء خاص

بدوره حصل المخرج السوري باسل الخطيب على احتفاء خاص من خلال فيلمه «ابن باديس» الذي كتبه رابح ظريف، وهو أول فيلم له خارج سورية.

ويتناول الشريط أبرز المحطات التي شهدتها حياة العلامة عبد الحميد ابن باديس ومقاومته للمستعمر الفرنسي للجزائر (١٨٣٠-١٩٦٢)، وكذلك المؤامرات التي حيكت له إلى جانب سرد محطات سفرياته إلى تونس من أجل طلب العلم.

ويبدأ الفلم بمشهد وفاة جده الشيخ المكي «ابن باديس»، ليسير في مسارات مختلفة شهدتها حياته، بدأت من الطفولة ومرحلة الدراسة ثم زواجه ثم قيامه بالحج وعودته إلى الجزائر، ثم سفره إلى تونس لطلب العلم وتأسيسه لجمعية «العلماء المسلمين الجزائريين» حتى وفاته في ١٦ نيسان ١٩٤٠.

تحكي القصة سيرة ومسيرة هذا الإمام وتنتقل عبر خطوط درامية مؤسسة على وعي تاريخي، لكنّها متشابكة ومتقاطعة بحيث يستحضر فيها ظل «ابن باديس» واقع المجتمع الجزائري في تلك الفترة.

وركزت القصة عبر ساعتين على الجانب الإصلاحي والفكري لدى الشيخ «ابن باديس» من رفض الظلم والدعوة لتعليم المرأة والانفتاح على الحداثة وتقبل الرأي الآخر وغيرها، إلى أن ينتهي الفيلم بمشهد درامي لجنازته.

ويعد «ابن باديس» الفيلم السادس لباسل الخطيب خلال مسيرته الإخراجية الطويلة والغنية بعد «الرسالة الأخيرة» «مريم» و«الأم» و«سوريون» و«الأب»، على حين ينجز حالياً فيلمه السابع وهو «الاعتراف» كاسم أولي.

صباح الجزائري فازت بالجائزة نفسها قبل ثلاث سنوات

الجوائز كاملة

فاز الفيلم الجزائري «في انتظار السنونوات» بجائزة «الوهر الذهبي» لمسابقة الأفلام الروائية الطويلة، كما حصد الفيلم ذاته جائزة أفضل إخراج وحصل عليها كريم موساوي.

وفي المسابقة نفسها فاز بجائزة أفضل ممثل النجم السوري أيمن زيدان عن دوره في فيلم «الأب» إخراج باسل الخطيب، على حين ذهبت جائزة أفضل ممثلة مناصفة للبنانيتين دارين حمزة وألكسندرا قهوجي عن دورهما في فيلم «ورقة بيضاء» إخراج هنري بارجيس.

وفاز بجائزة أفضل سيناريو الفيلم الأردني «محبس» من تأليف صوفي بطرس ونادية عليوات.

وفاز فيلم «أوغسطينوس.. ابن دموعها» للمخرج المصري سمير سيف بجائزة «الجمهور» التي تقدم بناء على استطلاع آراء متابعي المهرجان. وهو فيلم جزائري تونسي مشترك.

وشارك في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة ١١ فيلماً من الجزائر وتونس والمغرب ولبنان والأردن والعراق وسورية ومصر والإمارات.

وفي مسابقة الأفلام القصيرة التي ضمت ١٠ أفلام ذهبت جائزة «الوهر الذهبي» مناصفة للفيلمين الفلسطيني «خمسة أولاد وعجلة» إخراج سعيد زاغة والجزائري «وعدتك» إخراج محمد يارقي.

وفاز الفيلم السوداني «نيركوك» للمخرج محمد كوردوفاني بجائزة لجنة التحكيم.

أما في مسابقة الأفلام الوثائقية التي ضمت ١٠ أفلام أيضاً فتوج الفيلم الفلسطيني «اصطياد الأشباح» للمخرج رائد أنضوني بجائزة «الوهر الذهبي».

وكرم المهرجان في بداية الحفل الممثل المصري عزت العلايلي الذي تغيب عن الافتتاح بسبب وفاة زوجته قبل انطلاق المهرجان بأيام قليلة، وكرمت أيضاً المغنية والممثلة اللبنانية هيام يونس.

كما احتفى المهرجان في الختام بالفيلم الجزائري «ابن باديس» للمخرج باسل الخطيب، والفيلم المصري «مولانا» للمخرج مجدي أحمد علي.

كتابة الأغنية باللهجة السورية

كتّاب الأغنية السورية أبدعوا باللهجة المحلية وطوّعوا الفصحى وأجادوا

أحمد محمد السّح

يقول الملحن اللبناني إلياس الرحباني: إن شقيقيه عاصي ومنصور الرحباني حينما انطلقا بمشروع الأغنية اللبنانية عملا على خلق لهجة لبنانية كتبا بها أغنياتهم ومسرحياتهم، فخلقا لهجة لبنانية مختلفة عن المنطوق في مختلف المدن والقرى واللبنانية، هي اللهجة التي نعرفها اليوم باللهجة اللبنانية والتي استقاها الشارع اللبناني، وكذلك ينطبق الأمر على السينما المصرية، ومشروعها في الأغاني التي تنوعت مع أحمد رامي وتدرجت وتنامت مع المجتمع إلى اليوم الحالي، أما اللهجة السورية فهي التي تم نخبها واختراعها في الدراما السورية حيث تم خلق لهجة تشبه لهجة العاصمة المحدثة، فاللهجة التي نسمعها عبر المسلسلات ووسائل الإعلام ليست اللهجة الدمشقية، فاللهجة الدمشقية قليلة جداً اليوم، وهي متنوعة حسب المناطق الشامية.

مها الجابري

الشاعر نظمي عبد العزيز الذي كان له أسبقية في كتابة اللهجة السورية مع أبناء جيله وقد حاول عدد من الشعراء السوريين أن يكون لهم باعٌ في هذا الإنجاز ومنهم الشاعر الراحل عيسى أيوب الذي استطاع ربما الوصول بكلماته البسيطة إلى أبواب الأغنية فغنى له كبار المطربين أمثال وديع الصافي وصباح وإيلي شويري معتمدين على كلماته السورية البسيطة البعيدة عن تكلفة خلق الصورة وتعقيدها إنما اعتمد على صياغة الجملة الحياتية بصورة بسيطة منغّمة ومنحها الدفق العاطفي الذي يجعلها تصل للقلب قط ومن أبرز ما يمكن ذكره له وينطبق عليه هذا الوصف الأغنية العظيمة «يا دنيا» التي غناها وديع الصافي ولحنها الموسيقار الراحل مؤخراً سهيل عرفة، ولكن لعل من أبرز الشعراء وصولاً إلى

عمر الفرا

أجيال مختلفة من المغنين والمطربين هو الشاعر صفوح شغالة الذي امتاز بقدرته على دمج كلمات من لهجات متنوعة في جملته الغنائية وربما طوع بعض الكلمات الفصيحة في نفس الجملة واعتمد على تنافر الألفاظ لخلق الجملة الجذابة وهو ما اشتغل عليه في أكثر مما أذكر منه «تشكرات أفندم» مع المطربة الجزائرية فلة، ولكن شغالة نفسه اختبر الكتابة بلهجات غير سورية فهو الذي كتب «طبيب جراح» لجورج وسوف باللهجة المصرية، وهي الحالة التي مارسها عدد من الشعراء السوريين بأن انتحلوا صفة الكتابة بلهجات أخرى تستطيع الوصول إلى سوق الأغنية، ولربما اعتمد بعضهم على الكتابة بلهجة لبنانية ربما لتقارب اللهجتين وبكثير من الأحوال بسبب ثقافتهم السمعية للهجة اللبنانية

سهيل عرفة

في الشعر المحكي أكثر منه في اللهجة السورية، ويستطيع المرء الاتكاء على تجربة سمير طحان الصافية وتعاونه مع الملحن سمير كويفاتي في أكثر من تجربة عبر صوت الفنانة السورية الرائعة ميادة بسيليس التي يذكر لها صفاء ما تقدّمه في الأغنية السورية ودعمها الحقيقي لهذه اللهجة رغم صعوبة التحديات التي تقف أمام انتشارها، أما عن الكتابة والطباعة للأعمال الشعرية المحكية فثمة تجارب متعددة لكن هذه التجارب تبلغ أوجها من حيث العدد مع الراحل عمر الفرا ولهجته المحببة، أما اليوم فنجد أسماء متعددة تكتب وتنشر باللهجة السورية وتطرق أبواب النجوم لتقديم أغنية سورية صافية لكن قلة قليلة منها تستطيع الوصول، ولعل من أشهر الأسماء السورية بالكتابة المحكية نذكر الشاعر

صفوح شغالة

الدكتور إياد قحوش الذي طبع مجموعته «مملكة الشتي» في العام الماضي وسبقها بمحموعته «كرم السما» التي أقتطع منها: «يا بْلادِ/ كيف الدُّول بتْصيرِ/ مرّه/ كأنّها تاء مرْبوطه/ ومرّه/ جمع تكسير/ مرّات/ مِنْ كثْر الحزن/ عم حسّ/ الله متل تمثال/ وَالأنبيا أشباح/ ومرّات/ لمّا بصلّي للحجَر برْتاح/ معقول تتركْنا دشر يا كْبير!/ معقول/ ما نْسيتْ قصة سجرَة التفّاح».

ولدينا تجربة صدرت كألبوم غنائي في العام الماضي كانت تحوي نصوصاً للشاعر عدنان أزروني، الذي قدم مع أبناء جيله نموذجاً لأغنية سورية عاطفية ملأى بالإحساس والإنسانية في زمن بات الكثير من الشباب لا يميزون تفاصيل لكنتهم السورية بل يتعمدون تطعيمها ببعض الوقفات اللبنانية عسى أن تجد طريقها إلى سوق الأغنية.